ANALYSE ET COMMENTAIRE DE TEXTES OU DOCUMENTS EN ARABE

Durée : 6 heures

Analysez et commentez, **en arabe**, les deux documents suivants:

أنثى

– أهلاً ... أهلاً ... شرفتي يا مدام.

"مدام" ، لماذا يطلق على الجميع لقب "مدام" ، لماذا اختفى اسمي منذ انزرع ذلك الرجل في لحمي وانغرس في مسامي ؟ أشتاق إلى أن أسمع اسمي الجميل ذا الحرفين ، حتى أمي صارت تناديني "أم ناصر" ولا أدري هل حول اسمي في الشهر العقاري إلى "مدام" أو "أم ناصر" ، كما سجل ذلك العقد الذي لم أره ؟ في الليلة الأولى ، ألقى الغترة والعقال[1] جانبًا ، ثم فتح أزرار الجلباب الأبيض ، وجلس على كرسي من المخمل الأحمر ، أشار بإصبعه نحوي :

– تعالي يا "أم ناصر" .

– اسمي "مي" .

ضحك بشدة ، قهقه بشدة أكثر ، بدا في غاية السخف أمامي ، وهل نطقت بما يدعو للضحك !

– أنت "my" !

واستمر في نوبة الضحك الأبله ، وسكب في جوفه المزيد من السائل الأصفر الرائق المستقر في قلب الزجاجة الداكنة ذات العنق الضيق والبطن المنتفخة .

"my" ، أذكر أن أبلة[2] سمية حدثتنا في المدرسة عن هذه الكلمة الإنجليزية ، قالت إنها تطلق عادة للدلالة على ملكية الأشياء ، طلبتْ منا أن نوظفها في جمل مفيدة ، بصوت واثق تكلمتُ : This is my pen ، كنت أشير إلى القلم الرصاص في يدي ، كنت أقصد أنه قلمي ، ملكيتي أنا ، من حقي أن أكسره أو أن أستمر في بري رأسه الحادة حتى يتلاشى ويستحيل صِفرًا . فهل يقصد الرجل أنه يستطيع أن يكسرني إذا أراد ؟ أو أن يحيلني صفرًا إذا شاء ؟؟

تحسستُ بطني المنتفخة ، وطلبت الإعانة من الخادمة [...] لأنهض من مكاني عندما أشارت لي الطبيبة المبتسمة دومًا بدخول غرفة الكشف . تمددت على سرير غير مريح ولا يغطيه الفراش الوثير الذي تعودتُه منذ شهور ، دارت يد الطبيبة على بطني عدة دورات ولم أعترض ، لكنني كرهت المادة اللزجة التي بعثرتْها فوق جلدي لتمشي بجهاز صغير في خطوط غير مرتبة على البطن المنتفخة ، التصقت نظراتي مع نظرات الطبيبة المعلقة على شاشة تليفزيونية تظهر خطوطًا دائرية كثيرة ومتشابكة وغير مفهومة [...] .

سمعت صوت الرجل – زوجي – يسأل : "أين هي ؟"

[...] ضوء كثيف انبثق من الغرفة المجاورة بدد ظلمات غرفة الكشف وجعل بعض الخطوط الدائرية تختفي .

– ها ، ما الأخبار ؟ سأل في صرامة معهودة .

– توأم يا سيدي ، زوجتك تحمل في أحشائها توأمًا .

---

[1] Respectivement : le tissu de la coiffe des hommes dans la péninsule Arabique, et le cordon qui la maintient sur la tête.

[2] « Madame », en nommant, ici, une maîtresse d'école.

ظهرت أسنانه تعلن عن فرحة النصر مع إعلان أخبار الطبيبة ، ارتد كتفاه إلى الوراء ليبرز كرشه المتنامي والمختبئ في الجلباب الفضفاض ، ابتلع قبضة من هواء الغرفة الضيقة ثم أخرجها ساخنة .

– ذكور طبعًا ؟!

صمتت ، صمت جهازها الصغير ورداؤها الأبيض ، لحظات مرت وهي تراجع بعض الصور للخطوط الدائرية وقد لفظها رحم الصندوق الآلي ذو الشاشة الرابض بجانب السرير .

– ماذا يا دكتورة ؟!

– سيدي ، أظن أن طفلتيك سترثان جمال والدتهما الحلوة !

انعقد حاجباه فجأة وهبط صدره المفتخر بالذكورة ، وكما ظهر ... اختفى .

مسحت المادة اللزجة عن بطني وأنا أشعر بسعادة لا أفهم سرها ، سيكون لي طفلتان ، طفلة وطفلة أخرى وأنا أم لكلتيهما .. جميل .. هذا جميل جدًا .

جلست الطبيبة وراء المكتب ، وأمسكتْ بالقلم لتكتب بالإنجليزية بعض الجمل ، نظرتْ خلسة إلى كلماتها فلم أجد كلمة "my" .

رفعتْ رأسها ناحيتي بشيء من الدهشة .

– عمرك ست عشرة سنة ؟!

– الشهر القادم أكمل ست عشرة سنة وأصير بنت سبع عشرة .

ألقت الطبيبة بدهشتها على الورق المسطور ، ورأيت شيئًا يلمع تحت نظّاراتها الطبّية ، ورأيتها تمسح أنفها بمنديل .

عن هدى النعيمي ، "أنثى"، (قطر)

عرائس الموت في اليمن

بدلاً من أن تشتري عروساً لتلهو بها ، كعادة الفتيات الصغيرات في كلّ أصقاع الأرض، تتحوّل هي إلى واحدة . بدلاً من أن تحلم بأميرٍ وتنتظر قبلةً تمنحها الحياة ، تقتصّ منها شفتان غلاظ ورجولةٌ حمقاء . في كلّ مرّة تموت فيها الضحية يلتفت العالم التفاتة بسيطة لما يحدث هناك . شجبٌ واستنكارٌ ثم نسيان ، لتتكرر بعدها الحادثة مع تغيير بسيط باسم العروس/الجثّة .

لم يتوقف زواج القاصرات في اليمن رغم كلّ الجهود التّي تبذلها بعض المنظمات المدنية ، ولم تستطع التشريعات والقوانين أن تتسع لتشمل في دائرة تطبيقها مناطق نائية وعشائر وقبائل ما يزال مثل هذا الزواج يلقى رواجاً فيها . ولم تستطع ضغوط بعض الفتيات والنساء المتعلمات من خرق عقول متحجرة ترى في تحديد سن زواج الأنثى خطراً داهماً يستلزم مظاهرة مليونية قد لا تحشدها أخرى تطالب برغيف خبز وحلّ للفساد .

إلهام مهدي (13 عاما) آخر عرائس الموت التي كشف عنها الإعلام، توفيت بعد زواجها بثلاثة أيام جرّاء إصابتها بنزف حاد ناجمٍ عن تمزّق كامل أعضائها التناسليّة . رفض زوج إلهام الاعتراف بجريمته ، معتبراً أنّ الطفلة كانت تعاني من إعياءٍ ومرضٍ قبل زواجهما . وهي تزوجت ضمن ما يُعرف بزواج البدل ، الرائج في اليمن ، حيث لا تملك الفتاة خيار البتّ في مصيرها وتتحوّل إلى فريسة سهلة لضغوط أب جاهل وأم عاجزة عن حماية ابنتها من وحش فتّاك . في زواج البدل لا حاجة إلى مهرٍ أو دفع أموال . مقايضةٌ سريعة تبقي مصير جميع الأطراف مترابطاً ، وتحفظ الثروة والميراث ، إن وُجدا . هو نوع من التبادل بين العائلات ، شاب العائلة يتزوّج فتاة عائلة أخرى ، فتُزوج أخته من أخ الأولى .

ليس الفقر وحده ما يدفع العائلات اليمنية للإقدام على تزويج فتيات يكنّ أحياناً دون الثالثة عشرة ، من رجال تتفاوت أعمارهم لتبلغ حدّ الشيخوخة . فزواج القاصرات تشرّعه أيضا عادات وتقاليد وطريقة تفكير لم تدرك بعد أنّ الأنثى ليست متاعًا يُمتلك ويُساوم عليه . تعمي مؤسسات الدولة وكل حكومة عيونها كي لا ترى النتائج المأساوية ، ويقبل به تفكير موروث من عقائد دفعت بعض رجال الدين للتهديد بحشود بشرية هائلة إذا ما أقرّ قانون يحدّد سنّ زواج الفتيات ويقاصص من يخالفه .

في اليمن ، يقرّر الأهل تزويج فتياتهن طلباً للعفّة وخوفاً من قصص تغذيها خيالات الناس . أو سعيًا وراء وجاهة ، أو ارتباطاً بمركز عشائري أو حكومي ، أو لقاء مبلغ من المال . لا يُنظر إلى أجسادهن النحيلة لا يُسأل إن كانت قادرةً على حمل الأطفال وتحمّل آلام الوضع والأمومة .

"الطفلة نجود : عمري عشر سنوات ومطلقة" . نجود هي من أهم نساء العالم لعام 2011 . قصّتها أطلقت شرارة العمل التوعوي تجاه ظاهرة زواج القاصرات في اليمن . زُوّجت من رجل يكبرها بثلاثة أضعاف . لم تتحمل عذاب أم زوجها النهاري ولا عذاب زوجها الليلي فهربت من قريتها النائية إلى العاصمة صنعاء ، ليسمع بقصّتها محام عمل جاهدًا لنشر قضيتها وإيصالها للرأي العام .

أحدثت قضيتها نوعاً من التحوّل في ظاهرة زواج القاصرات ، كقضيةٍ كبرى في دولةٍ يتم تزويج أكثر من نصف فتياتها قبل أن يبلغن السن القانوني المعترف به عالمياً . الطفلة نجود تروي قصّتها في كتابٍ يرى في تحديد سن الزواج في اليمن خطوة أولى على طريق طويل .

اليمن على شفير كارثة اجتماعية يقودها 10 ملايين جائع ، والفقر (والتخلّف) يجعل من زواج الصغيرات إزاحة لعبء اقتصادي . ثم أن الأمر مطابق لتقاليد وعادات وأفكار دينية .

ليس اليمن الدولة العربية الوحيدة التي تنتشر فيها مثل هذه الظاهرة ، لكنّ ضحاياها غالبًا ما تقع هناك . السعودية أيضًا ومصر دولٌ يشجّع فيها على تزويج الفتيات باكراً لأسباب غالبًا ما تتعلّق بعاداتٍ وتقاليد وأواصر اجتماعية .

في بنغلادش أقرّت الدولة راتبًا شهريًا للآباء للحدّ من ظاهرة زواج القاصرات الذي يعد الأب فيه ركنًا أساسيًا في تدبيره وإتمامه . فهل يكون مثل هذا القانون حلاً للحدّ من آفة تزويج القاصرات في اليمن؟

مريم ترحيني

[نشر هذا المقال سنة 2012 في ملحق "السفير العربي" الصادر عن صحيفة "السفير" اللبنانية وعلى الإنترنت في موقع "جدليّة"]